من ليالي كليوبترا

للأستاذ علي محمود طه

[كتبت إلى الشاعر تقول : « قرأت لك من ليلة النيل واللوج ، وهو يروى حلم ليل من ليالي كليوبترة ، فهلا وصفت لنا ليلة من هذه الليالي ؟ وهل لنا بصورة حلم من أحلامها ؟ » قالي صاحبة تلك الأثارة الرائعة إهداء هذه القصيدة]

كِلْيُوبَتْرَا ! أيُّ حُلْمٍ مِن لَيَالِيكِ الحِسَانِ
طَافَ بالمَوْجِ فَغَنَّى وَتَغَنَّى الشَّاطِئَانِ
وَهَفَا كلُّ فُؤَادٍ وَشَدَا كلُّ لِسَانِ
هَذِهِ فَاتِنَةُ الدُّنْيَا وَحَسْنَاءُ الزَّمَانِ
بُثَّتْ فى زَوْرَقٍ مُسْتَلْهَمٍ مِنْ كلِّ فَنّ
مَرِحٍ لِلْجَذَافِ يَخْتَالُ بِحَوْرَاءَ تُغَنِّى

يَا حَبِيبِى هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لَوْ شَارَكْتَنِى أَفْرَاحَ قَلْبِى !

نَبْأَةٌ كالكَأْسِ دَارَتْ بَيْنَ عُشَّاقٍ سُكَارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَنَاحٍ فى سَمَاءِ النِّيلِ طَارَا
تَحْمِلُ الفِتْنَةَ وَالفَرْحَةَ وَالوَجْدَ المُثَارَا
حُلْوَةَ صَافِيَةَ اللَّحْنِ كأَحْلَامِ العَذَارَى
حُلْمُ عَذْرَاءَ دَعَاهَا حُبُّهَا ذَاتَ مَسَاءْ
فَتَغَنَّتْ بِشِرَاعٍ مِنْ خَيَالِ الشُّعَرَاءْ

يَا حَبِيبِى هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لَوْ شَارَكْتَنِى أَفْرَاحَ قَلْبِى !

وَتَجَلَّى الزَّوْرَقُ الصَّاعِدُ نَشْوَانَ يَمِيدُ
يَتَهَادَاهُ عَلَى المَوْجِ نَوَانِيٌّ عَبِيدُ
المَجَادِيفُ بِأَيْدِيهِمْ هُتَافٌ وَنَشِيدُ
وَمُصَلُّونَ لَهُمْ فى النَّهْرِ مِحْرَابٌ عَتِيدُ
سَحَرَتْهُمْ رَوْعَةُ اللَّيْلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَدِيدُ
كُلُّهُمْ رَبٌّ يُغَنِّى وَإِلَهٌ يَسْتَعِيدُ

يَا حَبِيبِى هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لَوْ شَارَكْتَنِى أَفْرَاحَ قَلْبِى !

إِصْدَحِى أَيَّتُهَا الأَرْوَاحُ بِاللَّحْنِ البَدِيعِ
وَامْرَحِى يَا رَاقِصَاتِ الضَّوْءِ بِالمَوْجِ الخَلِيعِ
قَبِّلِى تَحْتَ شِرَاعِى حُلُمَ الفَنِّ الرَّفِيعِ
زَوْرَقًا بَيْنَ ضِفَافِ النِّيلِ فى لَيْلِ الرَّبِيعِ
رَنَّحَتْهُ مَوْجَةٌ تَلْعَبُ فى ضَوْءِ النُّجُومِ
وَتُنَادِى بِشُعَاعٍ رَاقِصٍ فَوْقَ الغُيُومِ

يَا حَبِيبِى هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لَوْ شَارَكْتَنِى أَفْرَاحَ قَلْبِى !

لَيْلُنَا خَمْرٌ وَأَشْوَاقٌ تُغَنِّى حَوْلَنَا
وَشِرَاعٌ سَابِحٌ فى النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنَا
كَانَ فى اللَّيْلِ سُكَارَى وَأَفَاقُوا قَبْلَنَا
لَيْتَهُمْ قَدْ عَرَفُوا الحُبَّ فَبَاتُوا مِثْلَنَا
كُلَّمَا غَرَّدَ كَأْسٌ شَرِبُوا الخَمْرَةَ لَحْنَا
يَا حَبِيبِى كلُّ ما فى اللَّيْلِ رُوحٌ يَتَغَنَّى

هَاتِ كَأْسِى إِنَّهَا لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لَوْ شَارَكْتَنِى أَفْرَاحَ قَلْبِى !

يَا ضِفَافَ النِّيلِ بِاللهِ وَيَا خُضْرَ الرُّوَابِى
هَلْ رَأَيْتُنَّ عَلَى النَّهْرِ فَتًى غَضَّ الإِهَابِ
أَسْمَرَ الجَبْهَةِ كَالخَمْرَةِ فِي النُّورِ المُذَابِ
سَابِحًا فى زَوْرَقٍ مِنْ صُنْعِ أَحْلَامِ الشَّبَابِ ؟
إِنْ يَكُنْ مَرَّ وَحَيَّا مِن بَعِيدٍ أو قَرِيبِ
فَصِفِيهِ ، وَأَعِيدِى وَصْفَهُ فَهْوَ حَبِيبِى !

يا حَبِيبِي هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لَوْ شَارَكْتَنِى أَفْرَاحَ قَلْبِى !

أَنْتِ يَا مَنْ عُدْتِ بِالذِّكْرَى وَأَحْلَامِ اللَّيَالِى
يَا ابْنَةَ النَّهرِ الذى غَنَّاهُ أَرْبَابُ الخَيَالِ
وَتَمَنَّتْ فِيهِ لَوْ تَسْبَحُ رَبَّاتُ الجَمَالِ
مَوْجَةُ الشَّادِى عَشِيقُ النُّورِ مَعْبُودُ الظِّلَالِ
لم يَزَلْ يَرْوِى وَتُصْغِى الرِّوَايَاتِ الدُّهُورُ
وَالضِّفَافُ الخُضْرُ سُكْرَى وَالسَّنَى كَأْسٌ تَدُورُ

حُلْمٌ لَمْ تَرْوِهِ لَيْلَةُ حُبِّ فَاذْكُرِيهِ وَاسْمَعِى أَفْرَاحَ قَلْبِى !

علي محمود طه